نظريات تفسير قيمة الأشياء

لكل سلعة معينة قيمة تتم على أثرها عمليات البيع والشراء, ومن الواضح إن السلع تتفاوت في قيمتها الشرائية, وقد بحث علماء الاقتصاد عن السبب الرئيسي لحصول هذه القيمة وسبب التفاوت فيها, ويعد آدم سميث من أبرز من عالج هذه المسألة حيث أثار استفهاماً عن سبب انخفاض قيمة بعض الاشياء رغم أهميتها وضرورتها الحياتية وكثرة استعمالها كالماء, وارتفاع قيمة بعض الاشياء رغم قلة استعمالها وامكان الا ستغناء عنها كالماس فكتب (لا شيء أكثر نفعاً من الماء لكن, نادراً ما نستطيع شراء أي شيء مقابله. وبعكس ذلك, فنادراً ما يكون للماسة أية قيمة عملية, لكننا نستطيع شراء كمية كبيرة للغاية من السلع في مقابلها)( ) فماهو الأساس الذي طرحه لمعالجة هذا التناقض بين القيمة والمنفعة فرغم المنفعة الكبيرة للماء إلا أن قيمته قليلة ورغم المنفعة القليلة للماس لكن قيمته كبيرة جداً ؟

طرح آدم سميث فكرة العمل حيث رأى أن الأشياء تحصل على قيمتها نتيجة العمل البشري المبذول فيها, فالماء لم يبذل البشر في سبيل حصوله الكثير من العمل بخلاف الماس (ففي أمة الصيادين إذا كان الوقت اللازم لاصطياد القندس (حيوان ذو فروة غ الية الثمن) يبلغ ضعف الوقت اللازم لاصطياد الغزالة, فإن القندس الواحد سيتم مبادلته بغزالتين)( ) .

ولم يلبث سمث أن غير رأيه حيث وجد أن العمل المبذول لا يصلح لتفسير القيمة إلا في المجتمعات البدائية التي سبقت مرحلة جمع المال وتملك الأراضي والتي لا تحتاج إلى عمليات انتاجية اكثر تعقيداً, أما في مثل المجتمعات الرأسمالية فإن عوامل كثيرة تتدخل في تكون القيمة للمنتج, مثل : رأس المال وريع الأرض.

حرص علماء الاقتصاد بعد سميث على وضع نظرية تحدد أساس القيمة, والسبب في حرصهم هذا أن القيمة الحاصلة بعد الانتاج (من تصنيع أو زراعة ...) تتوزع بحسب العوامل الدخيلة في تكوين هذه القيمة, مثل (الأرض ورأس المال والعمل ..الخ) فتوزيع الانتاج رهن بتفسير الأساس الذي يحدد القيمة الحاصلة في عملية الانتاج .

ذهب ريكاردو إلى أن (العمل) وحده دون الأرض ورأس المال هو الأساس الوحيد لقيمة الأشياء التبادلية, إلى القيمة التي على أساسها يتم التبادل بين السلع, وقد عمل بنظرية استاذه ادم سميث وعممها لتشمل المجتمعات الصناعية, فالفارق في قيم السلع و المنتجات هو مقدار العمل المنفق فيها (فالقيمة التبادلية لكل منتوج إنساني تقدر على أساس كمية العمل المتجسد فيه, وتتفاوت قيم الاشياء بتفاوت العمل المنفق فيها)( ).

وهنا نسأل لماذا استثنى رأس المال ولا شك أن لرأس المال مدخليه في انتاج السلع واضفاء قيمة كبيرة لها, فالعامل الذي ينتج بواسطة آلات فإنه ينتج اضعاف ما يحصل لو عمل بدون تلك الآلات, والآلات رأس ماله الذي أدى الى تلك النتيجة فليس العمل

وحدة يمكنه أن يقوم بهذا الدور ما لم يملك رأس مال يؤدي به الى الانتاج؟

يرى ريكاردو أن رأس المال ليس عاملا ً مستقلا ً عن العمل بل هو عمل متجسد في صورة رؤوس أموال ولذا فإن تأثيره في قيمة الاشياء نابع من كونه جهد بشري سابق ظهر بهيئة أموال وآلات ومعدات في عملية انتاج جديدة.

أما الأرض بما تتطلبه من ريع فعند ريكاردوا لا تحدد قيمة السلع والمنتجات, فذلك: أن الريع هو الحصة التي يأخذها مالك الأرض عند ايجارها للمزارع يأخذ الريع بدون أي جهد يبذله في الزراعة, فقد رأى ريكاردو أن مقدار إيجار الارض لا يحدد قيمة المنتجات الزراعية بل أن هذه المنتجات من خلال ارتفاعها أو أنخفاضها يتحدد سعر ايجار تلك الاراضي, فالعلاقة عكسية (فإن ايجارات الاراضي كانت مرتفعة لأن أسعار الحبوب كانت مرتفعة, وليس العكس).